العربي الجديد

## هوامش

لوحات الفنانة الفلسطينية ميساء يوسف تحكي أدق التفاصيل وتعكس الواقع والخيال، إذ تعبّر عن أفكارها بعيداً من اللوحات الفنية التشكيلية التقليدية عبر فن «الكولاج»

**اختارت ميساء يوسف فن «الكولاج» لتميزه وحداثته** (عبد الحكيم ابو رياش)

# ميساء يوسف

## تمرد فني بالقص واللصق

غزة ـ **علاء الحلو**

تُجسد ميساء يوسف، وهي من مدينة دير البلح وسط قطاع غزة، عبر اللوحات بمختلف مقاساتها وتنوع الأدوات المُستخدمة فيها تفاصيل القضية الفلسطينية، إلى جانب مختلف المواضيع الحياتية، علاوة على تصوير القصص الخيالية بأسلوب فني مشوّق.

تقوم تقنية «الكولاج» على تجميع أشكال مختلفة لصنع عمل فني متكامل على اللوحات، تدخل فيه خامات متعددة من الأقمشة الخفيفة أو المزخرفة أو المطعمة بالخرز، وتدمج بالخامات البيئية المهملة مثل أوراق البصل والثوم الجافة وبقايا بذرة جوز الهند والبذور عامة والبهارات. ويمكن استخدام الألوان لصنع ملمس مميز، وكذلك استخدام الصور والمطبوعات الجاهزة أو تصميمها وتثبيتها بالغراء.

تقول ميساء يوسف (36 عاماً) لـ «العربي الجديد» إن رحلتها مع هذا الفن بدأت في المرحلة الإعدادية كهواية بسيطة، حين كانت ترسم الوسائل التعليمية وتصنع المجسمات وتزين الدفاتر، ما لفت انتباه المدرسات. درست يوسف التمريض والعمل في الخدمات الطبية العسكرية. وفي أوقات الفراغ، كانت ترسم «بورتريهات» ولوحات أخرى، وتستخدم المهملات الطبية مثل العلب الفارغة والحبوب منتهية الصلاحية واللاصق الطبي، في الزخرفة.

هذا الدمج بين المهملات الطبية والرسم لفت الفنان الفلسطيني بشير السنوار، وهو مديرها في العمل حينها، فطلب منها عرض أعمالها الفنية عليه، ثم البدء بالانضمام إلى دورات لتعلم أساسيات الرسم، لتطوير قدراتها. درست يوسف «التصوير الفني»، والتحقت بدورات خاصة بالتصوير الفوتوغرافي، والأرابيسك، والغرافيك، والفن المعاصر والحديث، وانطلقت نحو فن «الكولاج» لدمج المجسمات باللوحات الفنية.

اختارت يوسف فن «الكولاج» لتميزه وحداثته ومعاصرته للواقع وبصمته المختلفة إلى جانب ما يحمله من عنصر التشويق، علاوة على أنه مطواع، ويمكن فيه استخدام القصاصات الملونة كبديل عن اللون، فيما يمكن تنفيذ الفكرة الواحدة بأكثر من عمل فني، وأكثر من خامة ومواد مختلفة من دون الشعور بالملل، وفق ما توضحه لـ«العربي الجديد».

وجسدت باكورة أعمال يوسف معاناة اللاجئ الفلسطيني عبر مشاهد من النكبة، تلتها أعمال عن حق العودة والحروب الإسرائيلية على غزة، والمناسبات الوطنية مثل «يوم الأسير» و«يوم الأرض»، إضافة إلى القضايا المجتمعية مثل العنف ضد المرأة.

وتستخدم في لوحاتها ألوان «أكريلك»، وقماش «الكانفاس»، وفرش الألوان، وسكاكين الرسم، وشبلونات طباعة جاهزة أو تصنعها بنفسها، إلى جانب أي قطعة يمكنها إعطاء ملمس مختلف عن فرشاة الرسم العادية مثل الإسفنج وقطع الكرتون وقطع بلاستيكية أو مطاطية أو قطع قماش. اللوحة الفنية نفسها تتكون من أي شيء قابل للقص واللصق، مثل الأوراق متعددة السماكة، كورق الجرائد والمجلات وورق المرحاض الخفيف والكرتون.

تبدأ رحلة إنتاج أي عمل وفق تكتيك «الكولاج» بسطح عمل أساسي على «الكانفاس» أو قطعة كرتون أو ورق مقوى (ورق كانسون أو فبريانو)، ولصق الخامات عليها لإعطاء ملمس بارز، والبدء بتنفيذ الفكرة، فيما ترسم شخصيات على أوراق خارجية، أو تحاك ملابس الشخصية وتركب على اللوحة. ومن الممكن كتابة نصوص حسب كل عمل فني ومتطلباته.

ولم تكتفِ الأعمال الفنية متعددة الخامات بالحديث عن تفاصيل الواقع الفلسطيني، إذ جسدت مشروعاً متكاملاً تحت عنوان «أليس في فلسطين» الذي تحدث عن تجربة فتاة هربت من واقعها إلى عالم الخيال، وصورت في أكثر من مشهد في حالة الدهشة والخوف والقلق والسعادة والهروب والسقوط والطيران.

تتميز ميساء يوسف في أعمالها التي تنتمي إلى المدرسة «الواقعية السحرية» Magical Realism، وتجاوز عددها 400 عمل، باستخدام رموز خاصة بها، تقصد بكل واحدة معنى محدداً، فاستخدام السفينة تقصد به «البحر»، واستخدام قطع لـ«كيك» وكوب الشاي تقصد به «الرفاهية»، بينما تقصد باستخدام ورق اللعب ولوح الشطرنج «تذبذب الوضع الأمني في غزة وعدم الاستقرار»، وترمز للهوية الفلسطينية بأشجار الزيتون، فيما تعبّر بحقيبة السفر عن «الحق بالتنقل».

وشاركت الفنانة الحاصلة على عضوية الفنانين التشكيليين في المغرب والفنانين التشكيليين الفلسطينيين في ألمانيا في ورش وأنشطة ومهرجانات ومعارض فنية عدة، إضافة إلى تنفيذ الجداريات الفنية التي تحدثت عن آثار الحرب ومحاربة الفساد وحقوق الإنسان و«يوم المرأة العالمي» والوحدة الوطنية و«يوم الأسير» و«يوم النكبة».

**باختصار**

تتميز ميساء يوسف في أعمالها التي تنتمي إلى المدرسة «الواقعية السحرية»، وتستخدم رموزاً خاصة بها لتعكس معاني محددة

■■■

جسدت مشروعاً متكاملاً تحت عنوان «أليس في فلسطين» الذي تحدث عن تجربة فتاة هربت من واقعها إلى عالم الخيال

■■■

ميساء يوسف حاصلة على عضوية الفنانين التشكيليين في المغرب والفنانين التشكيليين الفلسطينيين في ألمانيا

## وأخيراً

# في خصوص جلاء فرنسا عن سورية

**خطيب بدلة**

يرى فريق كبير من الدارسين أنّه لا يجوز النظرُ إلى أحداث الماضي من خلال معطيات الزمن الحاضر، وطرائق التفكير الحالية. وعلينا، من ثم، أن نلتمس للذين صنعوا أحداث الماضي الأعذار، ونسامحهم على تخبّطهم، وتخبيصهم، وحتى جرائمهم، بذريعة أنّهم كانوا محكومين بظروفهم التاريخية... إذا فرضنا أنّ هذا الكلام صحيح، فإنّ على الناس الذين سيعيشون في هذه البلاد، بعد مائة سنة، أن ينظروا إلى المجازر التي ارتكبها بشار الأسد بحق الشعب السوري بعين التسامح، على أساس أنّ ظروفاً قاهرة اضطرته إلى قتل الناس. خلال السنوات العشر الماضية، وفي ذكرى جلاء الفرنسيين عن سورية الذي يصادف في 17 إبريل/ نيسان، كانت تعلو أصوات كثيرة تقول إنّ الاستعمار الفرنسي لم يكن سيئاً، بل حسناً، وأيّ مقارنة يجريها المرء بين الحكم المحلي (الوطني) والاستعمار الفرنسي ستكون لمصلحة الأخير. هذا التفكير، في الواقع، انفعالي، فرضه علينا واقع نظام الأسد الذي ينهب ثروات البلاد، ويثير النعرات الدينية والمذهبية والقومية، ويقتل، ويهجّر، ويستجلب من أجل الحفاظ على سلطته ما هبّ ودبّ من الأنظمة المتخلفة عن العصر، كإيران، وبقايا الأنظمة الستالينية، كروسيا، بالإضافة إلى المليشيات التي يكبّرُ أفرادُها ويصرخون، مستحضرين رجالاً ونساءً من الماضي، وينزلون بأبناء هذا الشعب الغلبان ضرباً وتقتيلاً.

ابتعادنا عن التفكير الانفعالي يأخذنا، من دون شك، إلى تقليب المسألة على وجوهها المختلفة، ووقتها سنزعم أنّ هدف فرنسا التي خرجت (مع بريطانيا) منتصرةً من الحرب العالمية الأولى، لم يكن الاستيطان في سورية، بل الانتداب عليها مدة محدودة، والعمل على تحويلها دولةً مستقلة، ذات حدودٍ واضحة. وبعد انتهاء مرحلة الانتداب، يكون ارتباطُ سورية، اقتصادياً، وسياسياً، ومالياً بفرنسا. ولهذا، أرادت أن تقيم فيها نظاماً جمهورياً يشبه نظامها، بعدما كان الأمير فيصل قد أعلنها مملكة يوم الثامن من مارس/ آذار 1920، وبدأت العمل على إقامة شبكة مواصلات، وأنشأت مؤسساتٍ إنتاجية، كـ«الريجي» التي تصنع السجائر، وأحدثت بنك سورية ولبنان، وطرحت الليرة السورية التي تساوي عشرين فرنكاً في التداول مكان الجنيه المصري، وأحدثت دائرة للمساحة «كاداسترو»... ومع أنّها لجأت إلى العنف في البداية، فقد انتهجت مع الناس سياسة اللين، ورسّخت فكرة احترام القانون واستقلال القضاء... روى فؤاد عزام حكايةً من دفاتر القضاء الذي أنشأه الفرنسيون في سورية، أنّ أحد الأشخاص في دمشق هلّل فرحاً عندما قصفت طائرات هتلر باريس خلال الحرب العالمية الثانية، وقال، بالعامية ما معناه، إنّ هتلر فعل كذا وكذا بأم «ديغول». وكان أحد العسس السوريين موجوداً، فوشى به، وأوقفوه في مخفر للدرك...

> الضباط الذين تسابقوا في الوثوب إلى السلطة، منذ جلاء فرنسا، والجماعات التي التفّت حولهم، فعلوا عكس ما فعلته فرنسا

وحينما اطّلع القاضي على مرافعة الادعاء، قال: لم تثبت لدينا واقعة أنّ هتلر مارس الفعل الذي ذُكر في البلاغ، ولهذا تبقى المسألة في إطار حرية التعبير... وأطلق سراح المتهم.

وهذا لا يساوي إلا القليل أمام محاكمة إبراهيم هنانو الذي شكل، في ريفَي إدلب الغربي والجنوبي، مجموعةً مسلحة، قاتل بها الفرنسيين، وكبّدهم خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، ومع ذلك قُدم إلى محكمة عادلة، وسمح لمحاميه فتح الله صقال بأن يدافع عنه، والناس الذين تجمعوا للتضامن معه لم تفرّقهم قوى الأمن، وبُرّئ من تهمة الإرهاب، واعتُبر مناضلاً وطنياً. وبعد إطلاق سراحه عاش في حلب ومارس حياته بكلّ حرية إلى حين وفاته.

كاتب هذه السطور، حتى نكون واضحين، ليس ممن يدافعون عن أيّ دولةٍ أجنبيةٍ تحتل سورية، أو تفرض عليها وصايتها. لكنّ من يفكر بعقلية اليوم، يصل إلى نتيجة مخيفة، أنّ الضباط المغامرين الذين تسابقوا في الوثوب إلى السلطة، منذ جلاء فرنسا، والجماعات التي التفّت حولهم، فعلوا عكس ما كانت تفعله فرنسا: قتلوا وضربوا وخرّبوا، وجعلوا المواطنين رعايا، وحوّلوا الدولة إلى عصابة.

**سعر النسخة:** مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**